

المحاضرة الأولى: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر 1512-1518م.

الأهداف :

-ترسيخ المعارف المكتسبة حول الأحداث والمعطيات التاريخية في العصر الوسيط خلال السداسي الأول.

-تمكين الطالب من ربط الأحداث وإيجاد العلاقة في ظل التطورات الحاصلة في حوض البحر الأبيض المتوسط وفي شمال إفريقيا.

المحتويات :

- تمهيد

- الدوافع المحركة لمشروع الغزو

- الحملات الإسبانية على الجزائر.

- واجب .

تمهيد:

إن الوجود العثماني في الجزائر كان نتيجة حتمية للظروف التي كانت تعيشها الجزائر داخليا من صراع وضعف، دون أن ننسى الخطر الإسباني الذي كان يهددها في كل لحظة، ونتيجة لهذه الظروف ظهر الأخوة بربروس كمدافعين عن الراية الإسلامية، لذا يرجع الفضل إلى الدولة العثمانية التي استطاعت المحافظة على وحدة الجزائر الترابية، فكانت العلاقة بين الباب العالي والإيالة قائمة منذ تأسيسها تحت إطار الدين الإسلامي، وهو ما كان له الأثر البالغ في اتصال العثمانيين بالجزائر وتحريرها من الغزو الصليبي ومن هنا بدأت ملامح العلاقات بشمال إفريقيا تأخذ منحى آخر.

1-الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية:

إن انقسام المغرب الإسلامي إلى إمارات ضعيفة متطاحنة فيما بينها جعلها هدفا سهلا لدول وممالك أوروبا، هذه الأخيرة سعت لغزوها والسيطرة عليها، ومن بين الدول التي طمحت إلى ذلك المملكة الإسبانية، فقد سارعت لاحتلال سواحلها مستغلة في ذلك الظروف التي كان يمر بها المغرب الإسلامي عموما والمملكة الزيانية على وجه الخصوص.

1- الدوافع المحركة لمشروع الغزو:

باشرت إسبانيا باحتلال سواحل المغرب الأوسط معتبرة هذا التدخل امتدادا للحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين التي بدأتها في الأندلس الشهيدة، وهي تلك الحروب التي أطلق عليها الإسبان حرب الإسترداد Réconquest، وقد كان لهذه الحرب الشرسة دوافع حركتها من أهمها نذكر:

- **الدوافع الدينية:** اكتست الحملات الإسبانية على سواحل المغرب الأوسط صبغة دينية ورغبة جامحة في محاولة تنصير المسلمين خاصة بعد سقوط غرناطة آخر معاقل الإسلام في إسبانيا سنة 897 هـ/ 1492 م ولقد ظهرت العديد من الشخصيات التي دعمت هذا الاحتلال مثل الكاردينال فرانسيس خيمينس (912-922 هـ/ 1507-1517م) هذا الأخير كان شديد التعصب، فقد دعم هذه الحملة من ماله الخاص وذلك بتجهيز العمارة البحرية، كما سعى لكسب مساندة الكنيسة البابوية ماديا وبشريا.

توحدت الممالك النصرانية عام (856هـ/1474م) بعدما تمت المصاهرة السياسية بين فرناندو (Fernando) ملك أراغون وإيزابيلا Isabela ورثية عرش قشتالة بعد موت أخيها، وقد قام البابا ألكسندر السادس (Alexcander) بإصدار مراسيم بابوية خلال سنتي (875-876 هـ/1493-1494م) يحث من خلالها على مواصلة الحرب الصليبية ضد المغرب الإسلامي، كما أصدر أمرا لكل النصرانيين بضرورة الاستمرار في دفع الضريبة لملوك إسبانيا لعدم الحروب ضد المغرب الإسلامي، وعلى هذا الأساس جمع الرهبان أموال كثيرة في سبيل ذلك، كما كان لرجال الدين دورا بارزا في هذه الحرب، فالكنيسة الإسبانية قد ساهمت بكل ما لديها من مال وحماس وجرأة في محاربة المسلمين.

-**الدوافع السياسية:** لقد رأت إسبانيا إعادة أمجاد وممتلكات الإمبراطورية القديمة خاصة بعد اكتشاف العالم الجديد، لذلك عملت على احتلال سواحل المغرب الإسلامي لما له من أهمية في إيصال بحري آمن بين السواحل الإيطالية والسواحل الإسبانية ورغبتها في جعل البحر المتوسط بحيرة إسبانية .

-**الدوافع الاقتصادية:** أدت الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا أواخر القرنين الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ميلاديين إلى حاجة الدول الأوروبية إلى المواد الخام التي اعتمدت عليها الصناعات الجديدة وعلى رأسها إسبانيا لسد حاجة مصانعها كافة من المواد الخام، فاندفعت إسبانيا تبحث عن هذه الموارد فوجدت في بلدان المغرب الإسلامي غانيها، كما كان لتأمين طرق المواصلات دورا بارزا في تحريك عملية الغزو الصليبي، إذ لجأت الكثير من الدول إلى احتلال مناطق جديدة وذلك قصد تأمين طرق المواصلات إلى مستعمراتها في المناطق المختلفة، من أجل حماية ممتلكاتها والمحافظة عليها وعلى مصالحها الحيوية، واستخدامها محطات تجارية وبهذا يمكن تلخيص الدوافع الاقتصادية في العناصر التالية:

✓ احتلال مواقع استراتيجية بصفة دائمة واتخاذها قاعدة للتوسع الاستعماري داخل البلاد.

✓ استغلال الثروات الاقتصادية التي تزخر بها الجزائر.

✓ استغلال الموقع الجغرافي للجزائر باعتبارها بوابة للتوغل داخل القارة.

-**الدوافع العسكرية:** كان هدف الاحتلال الإسباني للمناطق الإستراتيجية في الجزائر هو مراقبة السفن المارة بالمياه الإقليمية للبحر الأبيض المتوسط والتوسع في المغرب الإسلامي، كما طمحت من وراء هذا المشروع حماية ظهرها من أي عدوان قد يكون مصدره المغرب بحكم قرب المسافة بين المنطقتين، كما كان لإقامة قواعده العسكرية في شواطئ الجزائر سببا مباشرا لتحريك مشروع الغزة، فهذا العمل قد يحول دون الاتصال بين الجزائريين ومسلمي الأندلس، حتى لا يتحصل هؤلاء على أي مساعدة من إخوانهم مسلمي الجزائر، وسعت إسبانيا إلى تأمين خطوط مواصلاتهم الهامة بين إسبانيا وإيطاليا، اتخذ من القواعد الأمامية منطلقا لغزو المناطق الداخلية.

1-2-الحملات الإسبانية على الجزائر :

بعد سقوط آخر معاقل الإسلام المسلمين بالأندلس 1492م، واكتشاف الغزاة الأوروبيون للعالم الجديد، تطلع الكاردينال فرانسيسكو خيمينيس (1436-1517م) إلى التوسع في الخارج والسيطرة على موانئ التجارة في حوض البحر المتوسط، وذلك باحتلال سواحل المغرب الإسلامي مما سيجعل الإسبان قوة بحرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وبذلك نقلت ميدان الحرب ضد المسلمين إلى أرض الجزائر في العصر الحديث وبقية بلدان المغرب الإسلامي وتحويلها إلى مسرح الحروب الصليبية.

-احتلال المرسى الكبير سنة (887هـ/1505م):

إن سيطرة الإسبان على المرسى الكبير عام 887 هـ / 1505 م من أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي عرفتها المنطقة في بحر الأبيض المتوسط، شرع خيمينيس في تجهيز حملة عسكرية لتحركاتها المستقبلية لذلك أرسل أول حملة احتلال إسباني للساحل الجزائري بقيادة ديبغو هيرنانديز القرطبي في 02 أوت 1505م أسطولهم مكونا من 134 سفينة و 10 آلاف جندي، لكنهم اضطروا إلى التوقف بسبب الرياح الشديدة فلم يصل الأسطول إلى المرسى الكبير إلا في يوم 11 سبتمبر من السنة نفسها ولأن هذا التأخر في صالح الإسبان، ذلك أن جماعة المسلمين الذين أتوا لمساندة إخوانهم بالمرسى الكبير عندما بلغهم نبأ اقلاع الأسطول الإسباني قد ملوا الانتظار فرجع أكثرهم إلى ديارهم تاركين بالمرسى الكبير عددا قليلا منهم من أجل المراقبة والاستطلاع حتى إذ ما تبين أمر العدو استصرخوا قومهم فرجعوا إلى الميدان.

أما حامية المرسى الكبير المرابطة لم تكن بإمكانها صد الجنود عند نزولهم ، ورغم المقاومة العنيفة التي أبدوها، ولقد استمرت هذه المعركة فاستسلموا، واحتل الإسبان المرسى الكبير وتحصنوا به وأخلي المرسى الكبير من سكانه بعدما أعطى لهم الإسبان مهلة ثلاثة أيام لمغادرته ولم يسمحوا لهم إلا بأخذ ما خف من أمتعة كما فرض عليهم تحرير عبيدهم النصارى.

استدعى الملك فرناندو دون ريون دي قرطبة إلى إسبانيا لتنهئته ونقلت البشرية إليهم بأكملها وأعلن بداية الاحتفال خلال ثمانية أيام القادمة حيث أن الصلاة التي ستقام في الكنائس لشكر الرب بمن إسبانيا هذا النصر الذي لم يسترجع به أمن السواحل الإسبانية فقط بل أيضا فتح المجال لاحتلال المغرب الإسلامي بجيشهم على حد زعمهم سيخفي الري العام الإسباني لمواصلة المشروع الصليبي.

-احتلال وهران (891هـ/1509 م):

بعد أن احتلت اسبانيا المرسى الكبير تطلعوا لضم وهران سنة 891 هـ / 1509 م تنفيذاً لوصية ازابيلا ملكة قشتالة التي توفيت سنة (886هـ/1504م). لقد ارتبط اسم وهران باسم الراهب فرانسيسخمينيس الذي أصر على أن يقود الحملة على وهران بنفسه ووصل لهذا الغرض إلى المرسى الكبير، فبدأ يعد العدة لمحاصرتها وغزوها، إذ أبحرت من اسبانيا يوم 12 ماي 1509/1981 قوة بحرية تجاوزت حوالي خمسة عشر الف جندي يتولى قيادتهم بيدرو نافارو، كان حاكم المرسى الكبير قد وفر كل الوسائل والأسباب من أجل تحقيق النصر، ولم يكن المسلمون المجاهدون في وهران أقل أهمية أو عزيمية من الاسبان، فخرجوا للقاء العدو مستبسلين، ولكنهم كانوا أقل عدداً وعدة، مما اضطرهم إلى الرجوع إلى وهران والاحتفاء بحصونهم وأسوارها المنيعة .

الظاهر أن كل الروايات تتفق على أن يهودي اسمه **سطورة** هو الذي حضر لعملية فتح المدينة ليتمكن الإسبان من دخولها وهو الذي اشتراه حاكم المرسى الكبير، وبينما كان المسلمون يدافعون على مدينتهم وراء أسوارها التي تجمعت الجموع الإسبانية في بوابة من بوابات المدينة والذي أطلق عليه اسم البوابة الإفريقية وهي التي وقع الاتفاق عليها من قبل وقام سطورة والقائدان الخائنات العاملان تحت إدارته **عيسى العربي وابن القانص** بفتح البوابة فتوغل الإسبان داخل المدينة يقتلون دون اعتبار للسن والجنس .

ورغم هول الفاجعة إلا أن سكان المدينة استماتوا في الدفاع عن شرفهم وممتلكاتهم والتجأ بعضهم إلى المسجد الأعظم ليتحصنوا به واستمروا بالمقاومة البائسة مدة خمسة أيام إلى أن قتلوا وأخذوا الباقي كأسره، لم تكن الخيانة هي السبب الوحيد الذي أدى إلى احتلال وهران، فقوة الجيش الإسباني وتفوقه العددي كان لهما دور كبير في احتلال المنطقة وتحقيق التفوق الإسباني.

-احتلال بجاية 892 هـ / 1510 م:

لم يتوقف الإسبان عند هذا الحد بل أخذوا يتحرشون بمدينة بجاية التي كانت تخضع للأمير الحفصي يدعى عبد الرحمان وينافسه في الحكم أخوه عبد الله، توجه الأسطول بقيادة "بيدرو نافارو" إلى بجاية التي وصلها يوم 05 جانفي من سنة 892 هـ / 1510م) ولقد احتلها الإسبان دون أية مقاومة ولكن أحمد توفيق المدني يذكر في كتابه حرب ثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا أن الإسبان واجهوا مقاومة

عنيفة من سكان المدينة الذين تسلقوا مرتفعات جبال قورايا لكي تمنع الإسبان من النزول إلى البر، وأخذت المدفيعتان البجائية والإسبانية تتبادلان رمي القذائف لكن اسبان تمكنوا رغم ذلك من الوصول إلى أعلى مدينة وتمكنوا من احتلاله .

خلاصة :

لم يقتصر النفوذ الإسباني على المدن التي سيطروا عليها بالقوة فحسب، بل امتد ليشمل كل المدن الساحلية تقريبا، فلما علم سكان المدينة الجزائر بسقوط بجاية في يد الإسبان سارعوا إلى إرسال وفدا عنهم إلى بجاية ليعلنوا الاستسلام مدينتهم ، كما قام بذلك شيوخ متيجة وفي يوم 31 جانفي وقع مندوبون على مدينة الجزائر معاهدة استسلام يعترفون بالسيادة الإسبانية، قام الإسبان بتوسع في مناطق الأخرى منها مستغانم التي وقعت على معاهدة استسلام في 26 ماي من السنة نفسها يلتزمون من خلالها بدفع الضرائب للإسبان ، كما احتل الإسبان المناطق الاستراتيجية الهامة في البلاد لما تمثله من أهمية كبيرة لها وكان ذلك إما عن طريق الحملات العسكرية أو عن طريق معاهدات التي كانت يعقدها أعيان زعماء المدن تخوفا من الإسبان أو تجنب للقتال.

واجب :

لقد استطاع الإسبان احتلال بعض المناطق في الجزائر نظرا للظروف التي كانت تمر بها عددها ماهي؟ وكيف اتسع الصراع العثماني الإسباني؟